NACERA ADDA REZIG

MY CHRISTIAN FRIEND

Inspired by a true story

صديقي المسيحي

ل نصيرة عدة رزيق

مستوحاة من قصة حقيقية

Nacera Adda Rezig | My christian friend

الى جميع البشر دون استثناء

الافتتاحية

أ كان قدري أن يلتهمني الشر؟ أ كان اختبار الله لي أن أكون مستهترا بأمور الدين؟ هل هي خطة إلهية وضعها الله ليوصلني إلى ما أنا عليه اليوم؟

دون شك أننا جميعا نسأل "لماذا يحدث لي هذا من دون الجميع" عندما نقع في مشكلة وتضيق بنا الأفق، لكن ماذا لو من المفترض أن نسأل " ما الذي يريدها الله بنا؟"

لما أنت هنا؟

بعد يوم طويل من العمل قررت الترفيه عن نفسي قليلا خاصة وأنها أيامي الأولى في الشركة، فاتفقنا انا وزملائي على الذهاب الى احدى الحانات المجاورة لاحتساء كأس وإثنين والتعرف على بعضنا البعض.

لسبب ما لم أكن مستمتع برفقتهم، بدا لي وكأن الجميع يراقبنا في ذلك المكان المظلم.

كانوا أكبر مني، مرتبطين، ومستقرين عداي أنا. تساءلت في نفسي، لما لا يذهبون الى عائلاتهم؟ لما يتخذون مكانا كهذا لتخفيف عبئ العمل، أليس المنزل هو مكان الراحة، المودة، الرحمة والاحتواء؟

"وما الذي يميزك أنت؟ أ لست هنا للشرب والاستمتاع مع الحسناوات؟ ما الذي تعرفه عن الزواج، الارتباط والعائلة؟" رد السيد سميث مخاطبا إياي.

للحظة شككت أنه يستطيع قراءة أفكار الاخرين...

لكنني لم أعد صغيرا لأصدق ذلك!

ربت السيد ستيفي على كتفي وهو يخاطبني:

"لا تقلق. فقط احتسي شرابك، إنه سكران"، ثم أضاف

" زميلنا الأكبر محمل بالأعباء. ترى كلما كبرت مكانتك، كبرت مسؤولياتك وزادت اعباؤك..."

أكمل:

"أتذكر اول مرة كم كان يسعى جاهدا لكسب ترقية، انظر لحاله الان. من يربط سعادته على الأمور المادية، لا ينال كلاهما."

صرخ السكير سميث بصوت شبه مفهوم

" ظننت أن المال سيجعلها سعيدة، لكنني كل يوم اذهب اليها ورائحة الخمر تغمرني. لم تعد تريدني، لم تعد تستقبلني عند الباب كما كانت تفعل دائما...

حتى اولادي، صاروا كالدمى متصلين بهواتفهم الذكية كل الوقت..." وقبل ان يكمل قصة حياته التي يتلوها كل ليلة أغمي عليه.

لفتت انظاري فتاة ذات الفستان الأسود. فاستأذنت من السيد ستيفي، تقدمت منها والباقي تاريخ...

يوم اخر

فتحت عيناي لأجد نفســـي مســـتلقيا بجانب فتاة جميلة تلامســني بأناملها الرقيقة، للحظة بدا الامر كحلم جميل حتى لمحت الساعة.

"انها تمام السابعة ونصف صباحا!"

ارتديت ملابسي وهمست في اذنيها

" أتمنى ان نلتقي كثيرا مستقبلا" ثم خرجت مسرعا...

دخلت المكان ووجهي يستلبسه الحرج من زملائي الذين لم تفارقني عيونهم المترقبة.

لا أدري كيف مر الوقت وأنا أحاول إنجاز عملي، لكن لم أســـتطع. فتارة أتذكر المواقف المحرجة وفكرة الطرد من الشـــركة في الأخير أنا موظف جديد لابد لي أن أترك انطباعا جيدا، وتارة أخرى تأخذني ذاكرتي إلى الليلة الرومانسية...

"مالي اراك شارد الذهن، أ لم تكن ليلة البارحة من أروع أيام عشريناتك؟" قاطعني ستيفي وهو يقدم لي العلكة.

"لما...؟"

أومأ بعينيه بعيدا، ثم قال:

" لا أظن أنك على دراية برائحة أنفاسك"

"اه صحيح، لم تسنح لي الفرصة لاستحمام. ثم أكملت ممازحا إياه

" وأنا أعتقد أنني براد بيت على الحافلة".

****

في تمام ثانية عشر توجهنا إلى الكافتيريا.

لم نكن نتجاوز الطابور، فأخذت أرمق الكثير من السيدات الجميلات بينما ظل ستيفي غامسا رأسه في كتابه.

" لم تكتف بعد يا الازعر"

" لننظر الى الجانب المشـــرق، أ ليس هذا حافز رائع للقدوم للعمل يوميا؟"

بعد نصف ساعة من الانتظار وصلنا الطعام، فباشرت في الاكل كالمتشرد لكن ستيفي لم يلتقط شوكته حتى.

نظرت إليه وهو يهمس دعاء صلاة المائدة:

"**أبانا الذي في الســـماوات، ليتقدس اســـمك، ليأتي ملكوتك، لتكن مشـــيئتك كما في الســـماء كذلك على الأرض. خبزنا الجوهري أعطنا اليوم. اترك لنا ما علينا، كما نترك نحن لمن لنا عليه. ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير** " امين

بعد الانتهاء شــرع في تناول طعامه البســيط الذي كان عبارة عن سلطة مشكلة والقليل من الخبز الأسمر.

" ما هذا الهراء؟"

****

انتهى اليوم ولم يكن علينا سـوى تتبع عاداتنا التي ألفينا عليها.

مر الســاقي ليأخذ طلباتنا لكنني عهدت نفســي ألا أعيد الكرة، فاكتفيت فقط بمشــاهدة المكان كشــخص تائه أو يبحث عن شيء مفقود.

بعد ساعتين انضم الينا ستيفي. ناديت للساقي ليقدم له زجاجة لكنه أخبرني أنه لا داع لذلك لأنه قادم ليأخذ الملفات من السيد سميث.

توارت الاحداث فور خروجه.

"هذا ستيفي المتصنع يفسد علينا الاستمتاع، لا يكتفي من العمل أبدا"

" ألا ترى كيف يحاول جاهدا التقرب من مديرنا، مع دائم انشغاله إلا أنه حتى في عطله" ردد مارك مستاءا

أضاف هيلاري ساخرا:

"وماذا عن كونه لا يشــرب برفقتنا؟ أتســأل بين الفينة والأخرى ما إذا كان جاسوسا"

لم أكن معجبا بما يقولونه عنه، إلا أنني تســاءلت كيف يمكن للإنســـان أن يكون هكذا؟ مبرمج على عادات معينة ومبادئ غير قابلة للتفاوض.

ماذا عن كونه يرتاد الحانة ولا يشرب قطرة من الخمر!

التجسس

كنت ممددا على السرير اتصفح مواقع التواصل الاجتماعي حينما اتصلت بي "جانيت". لوهلة لم اتعرف عليها،

" الو انا جانيت، فكرت في الاتصال بك عدة مرات لكنك لم تتصل ولا مرة"

"لا ابدا ليس كذلك، كل ما في الامر هو انني كنت مشغول جدا في العمل. لكن صدقيني عندما أقول لك انني لم انفك في التفكير بك، انت أجمل فتاة رأيتها في حياتي"

بهذه الكلمات نجحت في اذابة قلب المسكينة مرة أخرى، ووعدتها بالزيارة قريبا جدا.

بعد انتهاء المكالمة. خطر على بالي ستيفي، فانتابني الفضول لاستكشاف قصة هذا الرجل غريب الاطوار.

اخذت الهاتف واتصلت به.

دعاني الى المكان الذي يتواجد فيه فقبلت الدعوة دون اعذار.

بعد ربع ساعة وجدته ينتظرني، نزلت من الأجرة، نظرت يسارا

"اذن انت في الكنسية!"

اردفت قائلا

" أهذا هو المكان الذي دعوتني اليه؟

تبسم ابتسامة خفيفة وقال

"لا طبعا. أنا أعرف أنك مسلم. ولا يسعني أن أتعدى على ديانتك. فكلا المسيحية والإسلام ديانات سماوية. وكلتاهما تنص على حرية اختيار الدين واحترام معتقدات الاخرين."

لم أجد ما أقوله لان بالفعل كل ما قاله صحيح حينها تذكرت قوله تعالى

" **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى تكونوا مؤمنين**" **سورة يونس**

عند مدخلنا غسلنا أيدينا، وجوهنا وأقدامنا ثم ردد ستيفي قوله

"**أما أنا بكثرة رحمتك أدخل إلى بيتك، وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك.**"

لقد كانت الكنيسة شبه خالية من الناس، النساء محتشمات يضعن اغطية على رؤوسهن. يرتلن الالحان بصوت خافت.

كانت جميلة جدا، مزينة برسومات جدارية، موزاييك(فسيفساء)، وشخصيات من العهد القديم. نبهني ان لا اطيل النظر فيهم كثيرا لما تنص عليه الكنيسة بالانشغال بالطاعة.

جلسنا على اللوح الخشبي اخرج انجيله وبدأ يهمس بكلمات لا ولن افهمها مهما حاولت مرارا. حاولت ان اقاطعه وأتكلم لكنه لم يعطني أي فرصة لتشتيت انتباهه. انبهرت بمدى تركيزه، اهتمامه لعباداته واخلاصه لذلك الكتاب.

بعد الانتهاء تقدمنا لبابا لسماع البركة الأخيرة ونوال التسريح.

رؤية أولئك الأشخاص يبدون اخلاصهم لإلههم جعلني أشعر بالذنب لكن سرعان ما تلاشى ذلك عند دخولنا المطعم.

جلسنا على المائدة ننتظر طلبياتنا، فاغتنمت الفرصة لسؤاله عن حالته الشخصية لكنه تجاهلني.

شعرت بالاستياء لمعاملته الباردة لم اعرف كيف تناولت طعامي وخرجت من هناك تاركا إياه، يتباطأ فالطعام كعاداته.

في طريقي للمنزل، عاود الاتصال بي لكنني لم اجب.

لحظات الوحدة

بعد مرور عطلة نهاية الأسبوع لم يردني أي خبر منه، مما جعل القلق، الخوف والشكوك السوداوية تتآكلني.

"ماذا لو طردت؟ سيؤثر ذلك على طلب عمل في أي شركة أخرى" "وماذا عن تكاليف المعيشة؟"

فقط عندما اعتقدت أنه لا يمكن أن يصبح الوضع أسوء حتى رن هاتفي.

ظننته ستيفي.

كانت انجليكا تلك الفتاة التي التقيتها العام الماضي، وعدتها بالاتصال لكني لم افعل ابدا.

قلت في نفسي "سأتجاهلها حتى تتوقف".

لكنها انجليكا! تلك غريبة الاطوار التي انجذبت اليها بسبب اعتقاداتها الغريبة. تبادلنا بعض القبل وانتهى الامر.

لقد نسيت الامر برمته كيف لم تنس؟ بالفعل هي غريبة مختلة وشاء القدر ان يبتليني بها.

ها هي تتصل مجددا، ومجددا...

بعد ساعة من الاتصال المتكرر، توقفت حمدا لله. واسترجعت انفاسي.

رن جرس البيت، إذ بالطارق انجليكا! تهجمت علي وصارت تبكي وتصرخ.

"لماذا تتجاهل اتصالاتي، لماذا لم تتصل بي؟ لماذا؟"

لم أجد أي جواب لإسكاتها. حتى جمل الغزل التي ارويها عليهن تبخرت، تفكيري كله عند ستيفي.

"ماذا افعل؟ من كثرة الاعيبي صرت ادعي ان لا تتصل الباقيات. ما الذي كنت أفكر فيه؟ وما هذا المأزق الذي وضعت نفسي فيه؟"

بعدها جلست مكتوف الايدي دون جدوى، أشد رأسي وانا اراقبها تبكي وتصرخ منتظرا متى تسكت.

لكنها لم تسكت، بالعكس ازداد انفعالها فصارت تتهمني انني أرى غيرها وأنها عبء (صحيح أنني لا أهتم لكن لم يكن موقفي وقتها. أحسست بالظلم).

بعد الكثير من التفكير والمحاولات، عادات خلاياي الشيطانية للعمل مجددا.

احتضنتها وقبلتها، اضفت بعد الكلمات المعسلة كأنا أحبك. وانت فريدة من نوعك. ثم بدأت لعب دور المسكين الذي كثرت على كاهله الاعمال والمسؤولية.

رويدا رويدا هدأتها ثم انصرفت الى بيتها.

كان المكتب فارغا صباح يوم الاثنين، وضعت محفظتي ارضا واتجهت الى الكافتيريا. كان الكل مجتمع هناك وعلامات الخمول بادية عليهم. دقائق عدة وباشرنا العمل.

كان الجو هادئ لكنه يبعث بالاكتئاب للنفس، حتى السيد ستيفي لم يكلمني ولم يلق علي التحية اليوم رغم أننا اعتدنا الحديث بين فترات الراحة.

انتهينا من العمل وانصرف الجميع، ولم تكن هنالك أي اجتماعات ما بعد الدوام.

ذهب الجميع الى منازلهم.

بعد مرور أيام، عادت الأجواء والمزاح الى أعضاء الشركة فارتاح خاطري وابتهجت جدا. لكن لم يكن الحال نفسه مع ستيفي الذي بات يتجاهلني.

في تمام الثانية زوالا، اخذ معطفه وخرج مسرعا. كانت تلك المرة الأولى التي يغادر فيها المكان قبل الموعد. تساءل الجميع عن احواله لكن لم يكن يعرف أي منا ما سبب غيابه. فهو شخص كتوم، غامض، لا يخلط بين حياته العملية والشخصية.

فكرت مع نفسي عن سؤالي له، لكن لم أكن أملك الجرأة. "هل أخطأت معه؟ هل تسرعت في السؤال؟" ثم بدأت دوامة اللوم تلازمني.

لم يكن علي التدخل في شؤونه، لم يكن علي المزاح معه ابدا. لم يكن علي تعدي حدودي مع زميلي في العمل. "لأن كلما حفظت المسافات، امنت العلاقات". هذا ما تقوله أمي دائما.

ناداني هيلاري قبل ذهابهم الى المطعم لكنني تحججت بأن لدي موعد مهم.

دخلت المنزل خاليا من دفأ أمي وضجيج أخوتي تمنيت وقتها لو كان بإمكاني الاتصال بهم فورا.

حتى اتصلت أمي. نعم انه اتصال الأرواح.

لحظات فقط كانت كافية جعلتني أغير رأيي، كلما كلمت أمي، حدثتني عن العائلة والزواج...

لم أستطع اقناعها انني اريد التركيز على بناء اهدافي وحياة الترف لنفسي، ان استمتع بشبابي خصوصا في بلاد المهجر حيث، يمكننا الوصول الى كل شيء.

أدركت أنني تغيرت، بت طماعا كلما حصلت على شيء رغبت في شيء اخر أكثر فأكثر.

أوقات سيئة

عائلتي كل ما أملك، كلما تذكرتهم، تذكرت بعدي عنهم. البعد لم يعد بعد مسافات وفقط. وإنما بعد أرواح.

كل ما افعله هو العمل، تزويدهم بالمال. ما بت اسأل عن اشغالهم ولا حتى أحوالهم، واذ ما سألوني تحججت بأسباب مختلفة.

تعبت من سؤال امي لي متى اعود الى البلد. لن اعود لمكان احسست فيه انني لا شيء.

لكن اخوتي؟ ماذا عن الوعود؟ ماذا عن الاحلام التي بنياناها معا؟ أتسأل، فيجيب غروري "سيكبرون وينسون" "كما نسيت انا؟"

"لكنني لم أستطع ان أنسى".

تملكتني الوحدة فطلبت من جانيت أن تأتي لأنه لم يكن بوسعي الخروج.

لحظات قبل وصولها، رتبت سريري ونظفت شقتي من الفوضى. ثم قمت بتجهيز طاولة العشاء.

فرشت منديل ابيض من الدانتيل، وضعت الصحون والاشواك، ثم زينتها بشموع وورود الجوري الحمراء لإضفاء جو رومانسي، عصري هادئ باقة.

وصلت ولم تبدو متفاجئة، بدا الامر اعتيادي جدا لها.

سكبت لها بعض النبيذ ثم بدأنا الاكل. على غرار ستيفي جانيت لم تصلي صلاة المائدة. كانت صامتة منذ لحظة مجيئها فحاولت افتتاح الحديث معها.

"جانيت انت مسيحية صحيح"

"نعم انا كذلك"

"لاحظت أنك لا تتلين صلاة المائدة فأردت سؤالك"

وبدورها تساءلت كيف لي كمسلم أن استمتع باحتساء النبيذ وإقامة علاقات غير شرعية

وانقلبت الليلة الرومانسية الى ليلة اقصفني، اقصفك

فهمت أن للمسيحيين نصيبهم من التدين أيضا على غرار البعض الاخر.

هل شعرتم يوما لو كان بإمكانكم التغيب عن العمل؟ فقط لإراحة أنفسكم؟ هل شعرتم يوما ان لا رغبة لديكم في أي شيء كل ما تريدونه هو البقاء في المنزل كل الوقت. هل كانت لكم الحاجة لاختلاق الاعذار فقط للبقاء في السرير؟

مع هذا الجو الكئيب والامطار الغزيرة، كل ما اريده هو شرب القهوة، الانعزال عن العالم، والعيش في دوامتي.

دوامة التي تلازمني بين الحين للأخر. ما هو سبب تواجدنا على الأرض؟ ما فائدة العمل بجد إذا كنا سنموت في الأخير؟

أسئلة لا أجد لها الاجوبة. ما كان يبدو لي حلم حياتي بات الان سبب تعاستي.

تفهمت مشاعر وكآبة سميث، والكثير ممن حولي، لماذا يشتكون، يشتمون، ينكرون متعة الحياة التي تمنوها يوما.

ستيفي لم يكن يشتكي، لم يكن يقنط. كان كثير الحمد.

و بينما أنا اخذ في الكلام والوقت يمر، اتصلت بالسكرتيرة لأعلمها بغيابي متحججا بالمرض.

اسدلت الستائر، استلقيت على سريري وأكملت نومي حتى الساعة العاشرة.

استيقظت على رنين الجرس.

فتحت الباب وعينياي شبه مفتوحة.

إنه ستيفي!

"هيا ارتدي ملابسك سآخذك الى مكان."

لم يعطني الفرصة للكلام، ارتديت ملابسي بسرعة وانطلقنا في سيارته.

بدأ كلامه بقوله

"هل انت مستغرب؟

"نوعا ما. لكن ما يشغلني هو غيابك عن الشركة بدون سبب."

"ومن قال بدون سبب! الشركة مهمة لكن المكان الذي سآخذك اليه اهم منها بكثير."

"لوهلة ظننت أنك هنا بسببي، هل يجب ان اشعر بالاستياء؟"

ضحك بصوت عالي لكنه لم ينكر الامر أيضا.

ساد السكون للحظات ثم باشر بسؤالي

"ادريس هل انت رياضي؟ همهم وقال اشك ذلك صراحة من بنية جسدك"...

"هل انت تسخر مني الان، ونحن نمزح اغتنمت الفرصة لسؤاله

لماذا كنت تتجاهلني مؤخرا هل انت غاضب مني حين سألتك عن حياتك الشخصية؟

لكنه بدا منغمسا في محاولته إيجاد مكان لركن السيارة

ترجلت من السيارة والتفت الى يميني

" ماذا؟ البقالة! هل هذا هو الامر الأهم من الشركة؟

نظر إلي وأكمل طريقه سائرا، لم يكن ليفسر أفعاله ولا يكرر كلامه. يتصرف فقط.

اخذت العربة ودخلنا نجول بين الرفوف، نختار المنتجات الغذائية بعناية. كان يأخذ من كل منتج أكثر من واحد. ارز اسمر... ست علب، طماطم مصبرة، عدس، فاصولياء، والكثير من الأطعمة. حتى اللحوم لم يترك نصيبها.

"هل تنوي اعداد وليمة؟"

قاطعني منزعجا قائلا

" الم يقل لك أحد كم أنك كثير الكلام والسؤال؟ لا تبدو كذلك في الظاهر

"المظاهر خداعة"

لم تكن رفقته ممتعة طوال الطريق وهو يستمع لبودكاست عن الناجحين (كيف حقق هذا مشروعه وكيف استطاع الاخر ان يحطم الرقم القياسي في الماراثون...)

"لما لا تضع بعض الموسيقى لنرفه عن أنفسنا."

"اه اسف، لم انتبه أنك تشعر بالملل"

مستفز لكنه مراعي يا له من شخص خاطبت نفسي،

لكن ليتني لم اطلب منه تغيير تلك المحاضرات المملة...

"هيا لقد وصلت"

ما خطب ذوقك في الموسيقى؟ لقد ذكرتني بالمرحوم جديي

اكتفى بالنظر الي ثم طلب مني النزول

كانت احدى جوانب المظلمة بأمريكا (احياؤها الفقيرة)،

صرخت " فقراء في بلد الفرص!"

كان المكان اشبه بالأحياء التي ترعرعت بها لكنها اسوء بكثير، عدم توفر مياه نظيفة، غياب وجود أسقف وجدران صلبة...اناس مشردة مستلقة على الرصيف.

حمل ستيفي الاكياس، ناولني بعضها وطلب مني وضعها أمام المنازل دون الطرق.

باشرنا العمل، بعد مدة ليست بطويلة صرت اركض لأضع أكبر مقدار من الاكياس امام المنازل، كنت مفعما بالطاقة وانا اجول في تلك الاحياء والأطفال تتراقص فرحا بتلك الأشياء البسيطة التي جلبناها. منهم من يريد ان

يصبح طبيبا لمعالجة الناس، ومنهم من يحلم ان يصبح مدرسا ومرشدا.

أدركت حينها كم انا محظوظ، على العيشة الكريمة التي انعمت بها وكم أنجزت في حياتي: فلقد سافرت في سن الثالث والعشرين، حصلت على عمل في احدى أرقى الشركات في بلد متطور... نسيت للحظة كل الهم الذي حملته نفسي صباح هذا اليوم.

"يا إلهي كم انا شخص سيء، كيف لي أن أنسى كل تلك النعم"

بعد انتهائنا من ذلك صعدنا السيارة وانطلقنا، ورده اتصال من المستشفى لكنه لم يشأ ان يرد. سألني

" ما رأيك بالتجربة؟ هل تحسن مزاجك؟

"كيف عرفت انني مستاء."

أجاب

"من لغة جسدك."

"يا لك من شخص مبهر جدا لم أكن اعلم أنك بهذا الذكاء والبديهة"

"ما يظهر لك في دقائق، اخذ مني سنوات عدة لبنائه."

الصدمة

كان ستيفي من أحد النعم التي انعم الله بها علي، رغم علاقة العمل التي تربطنا، الا اننا أصبحنا أقرب من مجرد مدير وزميله المتربص.

أصبحنا لا نفترق، نأكل الطعام معا، نحتفل معا، حتى انني اكتسبت بعض صفاته. أصبحت اتطوع لخدمة الاخرين في دار العجزة ولاستماع لأحاديثهم ونصائحهم القيمة، أمارس الرياضة وأقرأ الكثير من الكتب...

لقد أصبحت حياتي أكثر إيجابية ونشاطا. حتى الجميع لاحظ ذلك وصاروا يلقبونني بالنسخة الثانية من "الرجل الآلي ستيفي"

في يوم من الأيام، بينما كنت جالسا على اريكتي استمع للراديو خطرت على بالي فكرة.

لما لا اعتنق المسيحية؟

لكن سرعان ما عدت الى صوابي.

"كيف يمكن ذلك ما هذا الذي أقوله"

بعد مرور عدة أيام أخرى وانشغالي بالعمل، لم تنفك الفكرة ان تغادر عقلي.

لكن للمرة الثانية انكرت الفكرة على انها محض الجنون.

ماذا تعتنق المسيحية؟ هل اعجابك ب ستيفي لدرجة تجعلك تغير دينك؟ دين فطرتك الذي ولدت عليه؟

لكن ربما لأننا أخذنا الدين فطرة، هو ما جعلني ارغب في تغييره. فمنذ صغرنا لم يعلمنا أحد سبب صلاتنا وصيامنا وما إن سألناهم خاطبونا أنّ الله يعاقبنا إن لم نفعل! لم يعلموننا أن نصلي حبا لله وطاعة له وإنما خوفا.

ربما هذا ما وجدته في المسيحية التي تنص على الحب والتسامح.

وماذا عن الإيمان؟ ماذا عنه؟ لمّا أصبح الانسان يفكر كيف يكسب رزقه من سرقة غيره،

هل ستتهمونني أنني كافر في حال أصبحت مسيحيا! وماذا عن أكل مال اليتيم، وماذا عن الفساد والرشوة؟ أ تخشون العبد وتنسون الله!

لكن ما الذي أقوله لوالدتي وعائلتي؟ أني أصبحت مسيحيا أرتاد الكنيسة وأحلل الحرام؟ ...

كانت أفكار مجنونة تراودي ومشاعر كثيرة تغمرني، لم أعد اعرف ماذا افعل واين اتجه. فتذكرت ان لي صديق أكرمني الله به.

لبست جاكيتي وحذائي واتجهت الى منزله.

كانت مرتي الأولى التي أزوره في شقته، كما هو متوقع أن تكون نظيفة ومرتبة.

رغم ذلك بدت أوسع وشبه خالية عدا بعض الأشياء كأدوات القطط وألعابهم.

خاطبني وهو يقدم لي القهوة:

"هيا أخبرني ما الذي يقلقك؟"

ارتشفت بعض القهوة ثم بدأت كلامي قائلا

" الصراحة انا في حيرة من امري. مؤخرا صارت تراودني أفكار عن اعتناق الديانة المسيحية. لكن شيء ما يمنعني. هل هو الخوف؟"

"أمم، هل لي ان أسألك عن سبب رغبتك في اعتناق المسيحية؟ من هنا يمكن ان نجد الجواب"

"لأنني لم افهم ديني، ينص على الاخوة، لكنني أرى الناس أعداء بعضهم... كما انني تأثرت بك كثيرا"

ربت على كتفي ثم قال:

"إذا عاملت الدين على حساب أفعال البشر ما كنت لأصبح مسيحي متدين ايضا! هل تظن ان كل المسيحيين مثلي؟ لا يشربون، لا يذهبون مع الفتيات؟ هذا لأنني انا اخترت ان أكون أفضل نسخة من نفسي. أدركت أن من يجد الله يجده."

لم أكن أعي أي كلمة من التي يقولها، كان تفكيري عند قطه الأسود الذي كان يرمقني بنظرة حادة وكأن وجودي يزعجه.

ثم نبهني ستيفي مجددا وسألني

"ماذا تفعل حين تشتد عليك المحن وتصعب عليك السبل؟"

"ادعو الله واطلب إشارة." اجبت

"إذن هذا ما عليك فعله"

فور انصرافي فعلت تمام ما أملاه عليا صديقي وقلبي انتظرت إشارة لكن لم تردني...

إنه الكريسماس، ميلاد المسيح يسوع.

زُينت المدن بالأشجار الصنوبرية وتماثيل سانتا كلوز وبدأ الجميع يتجهز لشراء الهدايا لبعضهم بعض.

فكرت أن افعل نفس الشي فذهبت الى المتجر واشتريت قميص ازرق فاتح اللون مثل عينيه، وبنطلون عاجي لنفسي.

فجأة انتابني نوع من القلق

" هل من العادي الاحتفال بعيد الميلاد؟"،

لكن سرعان هدأت نفسي

"لما لا، يسوع نبي الله. ما المانع ان نحتفل بعيد ميلاده؟"

لكن الامر لا يتوقف هنا.

الامر ليس في احتفال ب عيسى نبي الله وإنما في طقوس الاحتفال.

في مساء ليلة 25 ديسمبر، غلفتُ الهدية، وضعتها في كيس مزين، اشتريت بعض الحلوى والمشروبات وعمدت زيارة صديقي ستيفي.

فور وصولي وجدت قطه الأسود خارج البناية، حملته وصعدنا معا الى الطابق الخامس الغرفة 789.

رننت الجرس وانتظرت لكن لم يُفتح لي، رننت مجددا.

فُتح الباب بعد سكوت طويل.

هتفتُ

« Surprise ! Merry Christmas »

لم يتفاجأ، ولم يطلب مني الدخول

"لماذا لم تقل أنك قادم؟" خاطبني وكأنه يلومني

"هل لديك ضيف مهم؟ اسف لم اشأ ازعاجك كل ما في الامر انني احسست بالوحدة ففكرت في الاحتفال معك..."

لم يقل الكثير مجرد "لا عليك،"

حينها شعرت ان قلبي انكسر وكرامتي جُرحت.

"ربما أخطأت فيك من الأول، لا شيء يميزك عن البقية".

رميت الهدايا في القمامة واتجهت إلى البار، حيث يتواجد الكثير من الناس.

أكملت باقي السهرة مع مجموعة غرباء جمعتنا نفس الأسباب

هاتفني ستيفي، لكن لم أبه له

عاود الاتصال بي. لكنني تجاهلته ولم اجبه...

بعد إجازة الكريسماس عدنا ادراجنا الى العمل والحياة الروتينية لكن بالنسبة لي صارت تبدو كتجربة جديدة. كيف سيكون تعاملي مع ستيفي بعد الحادثة؟

كان الجميع هناك باستثنائه، تفاجأت قليلا لكنني ظننت أنّ هذا أفضل لي حتى لا اضطر لتفاديه.

بعد ساعتين، نظمت الشركة اجتماعا عاجلا غير مخطط له، جعلنا نتساءل عن ماهية سببه. كانت أكبر مخاوفنا هو افلاس الشركة.

تقدم CEO الى المنصة، كانت يديه ترتجف وهو لا يكاد يحمل الميكروفون.

بدأ خطابه

"بعد العديد من السنوات عملنا جميعنا معا لبناء شركتنا، التي أصبحت من انجحهم عبر ارجاء الوطن. مررنا بصعوبات لم نكن نتوقع اننا سنتخطاها. لكن لأننا عائلة. استطعنا ذلك. أمنّا بأنفسنا فآمن بنا الجميع..."

صمت ليسترجع أنفاسه لكنه فشل في إخفاء التوتر والحزن.

"إنها لخسارة لنا جميعا، كان شخص مثابر، منضبط شديد الشعور بالمسؤولية... يا إلهي ما هذه الفاجعة التي اصابتنا وما الذي سنفعله من دونك يا ستيفي"

لحظتها تمنيت لوكنت حلم،

لا أصدق ما تسمعه اذناي ستيفي... كيف ذلك! لا، لا يمكن ان يكون حقيقة لا يمكن ابدا...

بعد مرور شهر

لقد مر شهر على فراقك يا صديقي لكن كأنه البارحة.

لا أستطيع مسامحة نفسي على سوء ظني بك. لم أكن أعلم أنك كنت مريض جدا. لم أكن اعلم أنك كنت تتجهز للعملية. اه يا صديقي كم فراقك صعب ومؤلم...

يا الله لماذا اخذته من دون كل الناس؟ لقد كان يافعا جدا، شخص جيد ذو قلب طيب رغم قبح مظهره.

لم أكن اعلم انني سأفقدك للأبد حين تجاهلتك، يا ليتني لم افعل... لماذا حرقت قلبي بذهابك؟

لقد كنت الأقرب لي منهم جميعا لما لم تخبرني بمرضك، لما لا تطلب المساعدة في حين تسعى جاهدا لمساعدة الكل. لماذا اخترت ان تتألم وحدك؟ ...

كلما ذهبت لزيارة قبره، أتذكر كل لحظة امضيتها معه، أتذكر كم كان مؤسف أن اخسره.

ربما كانت اخر امانيه ان اتواجد معه لكنني اخترت ان اتجاهله، صدقت غروري على صديقي...

ذنبي وندمي على سوء الفهم، على ظني به، يأكل روحي يقهرني. لماذا لم التمس له الاعذار؟

أتذكر قوله الكثير أُن "الحقيقة ليست ما تبدو".

أذهب كل يوم الى المكتب، لكنه لم يعد نفسه. الملل والصمت يسودان المكان.

يدعونك بالعائلة ولم تمر عشرة أيام على غيابك قاموا باستبدالك بشخص جديد. يا لهم من منافقين...

انا اعرف أنك لو كنت معي، كنت لتقول لي ان الحياة ستستمر وأنها لا تتوقف عند أحد لكنني ذلك المستهتر الاناني الذي يظن ان الحياة منافسة، ذلك المغرور الذي يسعى جاهدا لمكاسب الدنيا...

كنت أحدثه عند قبره لعلي أفرغ قلبي لكن مع توالي الأيام على هذا الحال ضعف ادائي في الشركة، غياب غير مبرر برأيهم، كثير الفوضى وغير مسؤول، صرت مهددا بالطرد.

ارتاد الحانات كل ليلة اشرب حتى يغمى عليا، افتعل المشاكل، كان الكل يبغضونني مثلما كانوا يفعلون معه. "ما أكثرهم من يضحكون في وجهك ويأكلون لحمك في غيابك".

لم اعد أستطيع تحملهم.

بتُّ لا أؤمن بالله وقضاءه معتقدا أنّه يبتليني أنا من دون كل الناس. بينما هم يضحكون، ويمرحون بما يكسبون، أنا أتعذب وحدي وجدران غرفتي تعانقني، الملائكة تشاهدني والشياطين تستمتع بطغياني...

غيابه زادني سوءا وفسقا...

إشارة

الإشارة تأتي على هيئة، انسان، إحساس، خسارة، فكرة، فعل، ...

لم أعد أعرف من أنا، ماذا أريد، وما الهدف من تواجدي على الأرض؛ كأنُي تائها في مكان لا أنتمي إليه.

هل سبق أن أحس أحدكم أنه تائه؟ يعرف المكان ولا يعرف كيف يذهب إليه؟

أخذتني ذكرياتي الى ايامي مع ستيفي... استأجرت سيارة أجرة وهرعت الى البقالة، قررت أن اتصدق على روح الفقيد.

وصلت للحي، ركض الأطفال يستقبلونني بحب، وأنا خائفا أن يسألني أحدهم عنه.

"ماذا يسعني أقول لهم؟ أنّ ستيفي مات، أملهم ومكرمهم لم يعد موجود؟"

انهرت على ركبتاي باكيا، أصرخ حملني أحد السكان إلى بيتهم، هدأوا من روعي لكنهم لم يسألونني عن سبب.

استقبلتني السيدة ميرفيت في منزلها، كانت تعلق الصليب عند مدخل الباب وتماثيل ملائكية عند تقريبا كل زاوية كانت عجوز في أواخر ستيناتها على ما يبدو، من أصول

افريقية. وضعت الصينية على المائدة لكن لم يكن لي أي رغبة في الأكل.

" إن لهذا حكمة لا يعلمها الا الله" قالت وهي تحاول مواساتي

"لقد كان شابا حين التقيته اول مرة، كان يسرق البرتقال من إحدى بساتين مزرعتنا. يا له من شقي!"

لسبب ما ضحكت،

"طالما كنت تتفاخر بأخلاقك العالية وتنتقدني... يا سارق"

أكملت قولها

" بعد ان لقطته كان يبكي خوفا انني سأبلغ عنه الشرطة" فاشترطت عليه ان يذهب كل يوم أحد معي الى الكنيسة. وقد وافق. كانت اسوء أيام حياته، لم يبدي رغبته في الامر، لكنه ظل يذهب. بعد واحد وعشرون يوما قررت ان اختبره... فادعيت المرض وتحججت بعدم الذهاب. لكنه ذهب الى الكنيسة وبقي امام الباب ينتظرني طوال اليوم حتى انتهت الصلاة".

من وقتها لم أره حتى أصبح رجلا... في يوم من الأيام عند حضوري كالعادة تفاجأت برجل ينشر البرتقال على الحاضرين. لقد كان هو ومن وقتها لم ينقطع خيره علينا حتى اليوم.

توقفت لمدة من الزمن، ثم اختتمت حكايتها بسؤالي

"ما أريد قوله يا بني، أنه كيف لحادثة سرقة برتقال أن تغير مصير انسان بالكامل؟"

في بعض الأحيان الأخطاء تقودنا الى الحقيقة و الحق.

جلسنا، فضفضنا، وضحكنا. وقد نجحت تلك الاناس البسيطة على رسم الابتسامة على وجهي بعد غياب طويل.

حين رجوعي الى منزلي، كان الهر "برررربرر" ينظر إلي ب عينان متسعة مليئة بالحزن

"هل أنت تشتاق اليه أيضا؟ أم أنك ترمقني هكذا لأنك جوعان يا غدار."

بعدما امتلأ بطنه نط فوق البلكونة وهرب بعيدا

"أيها القط اللعين... لولا ستيفي لتركتك تتضور جوعا."

استلقيت على الاريكة انظر الى السقف، وحيدا، حزين أتصارع بين نفس تأمر بالمنكر وصوت قلب ينهاني عنه.

في لحظة ضعف جثوت على ركبتاي وأنا أبكي بحرقة عن كل لحظة ضاعت مني وأضعتها بنفسي.

هذه المرة فقط، كان علي أن أستمع لصوت الله يأخذني إلى سبيله؛ صوت يقول: اسجد ترتفع ... ولأول مرة أتغلب على نفسي الأمارة بالسوء...

تذكرت قصة البرتقالة، تذكرت الإشارة التي طلبتها من الله منذ مدة.

نقطة تحول

سجدت بعد سنوات عدة، عانقت الأرض باكيا وانا ادعو الله ان يغفر لي، ان يساعدني.

فارتفعت وصغرت مشاكلي أمام ناظري، وقتها فقط حين لامسني نور الله وأحسسته بداخلي، عهدت أن أتغير كليا وأن أعوض نفسي عن كل ما فاتني.

لم يكن الامر سهلا، لكنه كان يستحق.

في صباح يوم الغد بسطت سجادتي صليت صلاة الفجر، خرجت لممارسة الرياضة كما كنت افعل مع ستيفي من قبل.

عوضت تلك الأغاني الصاخبة بالقرآن والكتب المسموعة لتعزيز معرفتي بحقيقة ديني الإسلام.

لم انس نصيب من الصدقة والتطوع أيضا. لكن احسست ان هنالك شيء ينقصني.

بعد تفكير مطول قررت أخيرا الاستقالة من الشركة، فلا خير في احاطة نفسك بأشخاص لا يدفعونك لتصبح أفضل نسخة من نفسك.

استقلت أول طائرة الى الجزائر، قررت أن ابدأ من الصفر.

بلـدي لم يعطن فرص، لكنــه اعطــاني مــأوى، حلم، اعطاني الأمان والحب.

بلدي ليس ك أمريكا لكن أؤمن أننا إذا عملنا معا، إذا بدأت بنفســـي ومن نفســـي، إذا زرعت بذرة الخير اليوم حصدتها غدا.

قال الله تعالى "**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**" **سورة الرعد**

لك الحمد يا الله.

ختاما

لو لم تُلق أم موســـى بـه في اليم، ما كان ليعود إليها يوما.

لو لم يُلق بالنبي يوســـف في الجُب، ما كان ليصـــير عزيزا.

ومـا كنـتُ لأعرف طريقي إلى الله لو لم أتلـذذ مرارة المعاصي.

وما الابتلاء إلا حبا من الله لعباده.

كلمة من الكاتبة

الهدف من القصة ليس الدخول في أي مناقشات عقيمة. وإنما محورها هو أنّ الالهام يأتي من كل مكان ومن أي شخص بغض النظر عن دينه، هويته، أصوله، ... أنوه أنني ككاتبة للقصة لا أقصد الإساءة للأفراد أو تصوير أي من الأشـــخاص (ســـواء كانوا مســـلمين، مســـيح، يهود...) كأناس سيئة منحرفة أو ما شابه، لكن اظهار الجانب الوحيد الذي يربطنا ألا وهو الإنسـانية وأننا أمام الله كلنا خلقه.

لو شـــاء الله لكانت أمة واحدة، لكن له حكمة في ذلك سبحانه تعالى.

لا يجوز الإساءة إلى الديانات أبدا.

وجوب احترام ديانات ومعتقد الاخر مهما كان.

الايمان بالرب هي علاقة الانسان بربّه.

المعاملة والاخلاق هي علاقة الانسان بغيره.

شكر وتقدير

عائلتي.

أصدقائي.

المصدر الالهام "ديفيد"

أخيرا للمكتبات الالكترونية التي سهلت علينا ابراز مواهبنا وإيصال أصواتنا.

عن الكاتبة

نصيرة عدة رزيق، كاتبة هاوية جزائرية بدأت رحلتها عام 2020 بمشاركتها في كتب جامعة من تأليف مجموعة مؤلفين صاعدين.

أبرزهم:

ماقيا2020، ك وريستي2021 تحت اشراف نريمان سبعرغود ووسام قديم

كتبها الشخصية:

Things I never told you 2022

Thoughts & feelings 2022

معلومات شخصية للتواصل:

Facebook: @cera addarez

Instagram: @covered.in_daffodils

Email: naceratаousaddarezig@gmail.com

ربما هذه نهاية القصة، أو ربما فقط بدايتها.